الليبرالية وخطرها[1]

أ.د. صالح بن عبدالعزيز سندي

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وأظهر الحق بالحق وأخزى الأحزاب، وأشهد أن لا إله الا الله العزيز الوهاب ملك الملوك ورب الأرباب، وأشهد أنَّ نبينا محمدًا عبده ورسوله كان خلقه الكتاب وقوله فصل الخطاب، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آل والآصحاب ما هبت الرياح بالبشرى وجرى بالخير السحاب، أمَّا بعد:

فإنَّ الامة المسلمة قد ابتليت في هذا العصر بتيارين غاليين كان أثرهما فيها أقبحُ الأثر، أحدهما: عاث فيها إفسادًا وتكفيرًا، فخاض في الدماء المعصومة، وسل السيف، وشق العصا، وخرج عن الطاعة، وشوه صورة الاسلام النقي، ولم يزل المسلمون منه في أذى وبلاء قطع الله دابره وأراح المسلمين من شره.

أمَّا الآخر: فإنه مشروع إفسادي دبَّ في المجتمعات المسلمة دبيب الورم الفتاك؛ لينقض عرى الإسلام، ويصرف النَّاس عن دينهم.

والإسلام بريءٌ من هذا وهذا، فهو دينُ الوسطية الحقة والاعتدال المحمود.

الحديث في هذه الليلة بعون الله عز وجل عن التيار الليبرالي وهو أبرز من يمثل التيار الثاني من التيارين السابقين.

والحديث في هذا الموضوع أيها الإخوة الفضلاء حديث متشعبٌ ذو شجون، فإنَّ خطر الليبرالية على الأمة والأوطان شيءٌ عظيم وهو أعمق مما

---

(١) ألقيت في جامع الإمام تركي بن عبدالله رحمه الله بالرياض بعد صلاة المغرب بتأريخ: ١٤٣٩/١٠/٢٨هـ.

يظنُّه كثيرٌ من النَّاس، فإنَّ الليبرالية تعارضُ الإسلام وتضاده من جهاتٍ كثيرة، والدقائق المعدودة القادمة لا تسمحُ بكثيرٍ من التفصيل والاستيعاب، وحسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، ولقد أحسنت وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد حين قررت إقامة هذه الندوة لبيان هذا الخطر المحدق بالمجتمع والمسلمين، كما أحسنت من قبلُ وزارة التعليم حين أدرجت الليبرالية ضمنَ التيارات الفكرية المعاصرة التي تهدد الأمن الفكري للطلاب والطالبات، والتي يُعنى مشروع حصانة للتوعية الفكرية بمواجهتها، إنَّها حقا تهدد الأمن الفكري، ودين المجتمع، ووحدة صفه.

إنه ليس يخفى على المطلع على هذا الموضوع وما كُتِبَ فيه سواء كانوا من موافقين أو مخالفين أنَّ مصطلح الليبرالية مصطلح ضبابي يلفه شيء من الغموض نظرًا لكونها تتشعب الى أنماطٍ شتى مختلفة في الرؤى والمفاهيم، وليس هذا شيئا مستغربًا؛ لأنَّ الليبرالية فكرٌ لا علاقة له بالوحي (**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) [النساء: ٨٢] غير أنَّه لا يُختلف على أنها فلسفة مصدرها العقل، ومنشاؤها الغرب ولا تمت إلى الإسلام بصلة، كما أنهم لا يختلفون في أن هذه الفلسفة لها ركيزتان: الحرية والفردية، وما يتفرع عنهما من العقلانية.

إذن أقرب تفسير لها أنها: الحرية النفعية الفردية.

أما الحرية فالمراد بها: الحرية المطلقة في جميع المجالات الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، إنها الحرية التي لا حدود لها، إنها الحرية ولو اصطدمت بضوابط دينية وقيم مجتمعية.

أما الفردية فإن الفرد عندهم هو الذي تدور عليه فلسفة الحياة برمتها ومنه تنبع القيم التي تحدد الفكر والسلوك. إن الانسان في هذه الفلسفة هو سيد الكون ومركزه فهو المُقدَم ومصلحته هي الدافع ولذته هي الهدف.

وقبل أن استرسل في بيان خطرها وسماتها وطرائقها فإني أحب أن أقدم بمقدمات ممهدات :

الأولى: أن الليبرالية درجات متفاوتة والفئة الغالية المعاصرة من المنتمين إليها هي الفئة الأكثر ضجيجا والأشد تأثيرًا وهي محور الحديث في مقام هذا.

الثانية: الكلام في هذه المحاضرة في أفكار وأطروحات لا في اشخاص معينين، والأفكار لا جنسية لها ولا تحدها الحدود الجغرافية لا سيما مع هذه العولمة المعلوماتية الجامحة التي نعيشها.

الثالثة: ليس كل معصية أو منكر هو من نتاج هذا التيار والخطأ في الحكم والاجتهاد، أو الميل إلى التساهل والترخص لا يستلزم التأثر بها وعلى من يخاف مقام ربه ان يتقي الله ويحتاط في وصف الاخرين بانهم ينتمون الى هذا التيار أو ذاك فظلم ظلمات وعاقبته وخيمة.

الرابعة: أن كل ما سأذكره في كلامي فانه من أقوال أساطينهم المسموعة من افواههم او المدونة في كتبهم ومقالاتهم ولن أتقول عليهم في شيء بعون الله.

هل الليبرالية خطر على المسلمين ودينهم؟ وما ملامح هذا ودلائله؟

هذا ما سأسعى للإجابة عنه في الدقائق القادمة إن شاء الله مبينا ابتداءً المخاطر الكبرى التي ينطوي عليها الفكر الليبرالي، ثم أردفها بجملة من سمات الليبراليين ومسالكهم تزيد المقام وضوحًا.

أما عن المخاطر الكبرى في الليبرالية فيمكن إيجاز أهمها في ستة أمور:

أولها: اقصاء حكم الله عن شؤون الحياة، هذا غاية الليبرالية وما تسعى إليه. ذلكم أن المرجعية الاساسية للفكر الليبرالي في المواقف والانظمة والاحكام ليس وحي الله المعصوم إنما هو العقل والهوى وفكر الغرب. إن الحكم في ظلال الليبرالية للإنسان فهو الذي يصنع لنفسه القوانين التي تلائمه، وما يسمى بالتنوير الغربي هو في نظرهم خشبة الخلاص للمجتمعات وهو الذي يجب أن يكون الميزان والمعيار والقبلة. أما الاسلام فهو عندهم سبب التخلف وعائق التنمية وأحكامه تشد المجتمع إلى الخلف وتضع العصا في عجلة التقدم، وإذا سمحت لهم مساحة الحرية فإنهم يصرحون ولا يتوارون بجحد حق الخالق سبحانه وتعالى في التشريع وضرورة إقصاء حكم الله عن الحياة وفصله عن جميع مناحيها وعن النشاط البشري بعامة وحصره إن كان ولابد في القلب والمسجد والشأن الاجتماعي الخاص فهذا محله الذي لا يصح أن يتجاوزه ولا سبيل للتقدم إلا بهذا وإذا لم يمكنهم أن يصرحوا هذا التصريح، فإنَّ كلامهم لا ينفك عن الغمز من قناة الدين ليوهموا الأغمار بأساليب ملتوية ومكرٍ كُبار أن الدين ناقص محصور وهو بحاجة الى أن يُكمل من الثقافات الأخرى، هذا قولهم وبئس القول وهو بلا ريب أثرٍ من آثار نفاق متجذر في قلوب هؤلاء، والشيء من معدنه لا يستغرب

إنَّ شأن الدين أرفع من هذا وإن كرهوا (**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**) [النساء: ١٠٥] (**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**) [المائدة: ٤٩].

إنَّ القوم عشيوا البصائر ولو نظروا بعين الانصاف لا العداوة والكبر لرأوا جمال هذا الدين العظيم وسعته ورقيه، فما من مشكلة إلا وللإسلام فيها حل، وما من صغيرٍ أو كبيرٍ في هذه الحياة إلا وللإسلام فيه توجيه يعود بالخير والسعادة على الفرد والمجتمع، ولا حيلة في الصم البكم الذين لا يعقلون.

أشريعةٌ تأمرك بالخير والعدل، وتحضك على الرقي والرحمة، وتعنى بادق التفاصيل في هذا يُقال فيها أنها ناقصة! أشريعة تأمرك بالعدل بين قدميك فلا تنتعل في قدم دون أخرى توصم بالتخلف! أشريعة تجعل نظافة الأسنان عبادة توصف بالرجعية! أشريعة تدعوك إلى أن تكون راقيا فتراعي المشاعر حتى لو كانت مشاعر الحيوان فتنهاك عن أن تحد سكينا أمامه، أو أن تذبح شاة والأخرى تنظر إليها شريعة هذا شأنها! هل من العدل أن يقال إنها تشد المجتمع إلى الخلف؟ أشريعةٌ يقرر فقهاؤها أنَّ من مَلك دود القز لإنتاج الحرير فإنَّه يجب عليه إطعامه أو إخلاء سبيله؛ لئلا يهلك، وأنَّ من كان عنده خلية نحلٍ فإنَّ عليه أن يترك لها بعض العسل إن كان لا غداء لها إلا هو؛ حفاظًا على حياتها أشريعةٌ هذا شأنها يقال فيها إنها متوحشة متعطشة للدماء! أما إنها لا (**تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**) [الحج: ٤٦] (**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) [المائدة: ٥٠].

ثانيًا من مخاطر الليبرالية الكبرى: التمرد على شرع الله.

إن الليبرالية يقوم بناؤها على شاق الحرية كما تقدم، فالدعوة الى الحرية قاسم مشترك بين الليبراليين جميعًا وهي حرية مطلقة لا فرق فيها بين قيم سافلة

او سامية، كما أنها حرية متطرفة لا تعترف بهوية ولا تقيم وزنًا لثابت ولا تجل مقدسًا ولو كان وحي رب العالمين.

الإنسان في حكم الليبرالية له أن يفكر كما يريد ويعتقد ما يشاء ويحكم بما يشتهي ولو نقب السفينة ليغرق ويُغرق.

فالحرية الشخصية تمنحه -كما يقولون- حق هتك الفضيلة والرتوع في الشهوات ولو كانت غاية الشذوذ والانحلال.

وحرية التفكير تمنحه حق الشك في العقيدة والمسلمات.

وحرية البحث العلمي تمنحه حق نقد الأحكام الشرعية أو التشكيك فيها وتقطيع أواصر الدين.

أما حرية الرأي فتمنحه حق القفز على كل الخطوط الحمراء، والتمرد على شرع الله وتوهين قدره في النفوس.

وحرية الاعتقاد تمنحه حق التقلب بين الأديان أو الإلحاد بين الاسلام والردة.

فأي ضلال أعظم من هذا الضلال؟ وأي فساد أعظم من هذا الفساد؟

ومن عجيب أمرهم أنَّ حريتهم المزعومة تتآكل إذا انتهى المطاف إلى الدعوة إلى الله والتعليم الشرعي أو الالتزام بأحكام الشرع فهناك تظهر صنوف النقد وسياط السخرية، كما أنَّ هذه الحرية تتلاشى إذا وصل الحديث إلى نقد الليبرالية فهناك تبدو أنواع التهم والألقاب القبيحة، وكان الانصاف يقتضي منهم أن يحفظوا لغيرهم حرية الرأي.

..... فأول راضٍ سيرة من يسيرها

ولست بحاجة أن أطنب في بيان أنهم يدعون إلى حرية زائفة حقيقتها أغلال ثقيلة، وأنَّ الحرية الحقيقية هي حرية القلب عمَّا سوى الله سبحانه وتعالى، والتحرر من أسر الهوى والشيطان.

إنَّ الانسان عبدٌ شاء أم أبى، فهو إن لم يسمو أن يكون عبدًا لله فسيرتكس ويكون عبدًا لهواه، (**تعِس عبدُ الدينارِ ، تعِس عبدُ الدرهمِ ، تعِس عبدُ الخميصةِ، تعس عبدُ الخميلةِ**)

ثالثًا: سوق الإنسان ليكون عبدًا لهواه مآل ما يدعو إليه هذا الفكر المتطرف إلغاء العبودية لله وجعل الانسان عبدًا لهواه كما تقدم، لذا فان هذا الفكر يسعى في تطبيع المنكر وجعله مستساغًا وظاهرة عادية، كما أنه يحصر الغاية والهدف في الحياة الدنيا والتقدم المادي ويتجاهل الروح والآخرة، ويا بؤسا لمن غفل عن لقاء ربه (**إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**) [ص: ٢٦].

إنَّ الخطاب الليبرالي جادٌ في صرف همة النَّاس عن كل شيء إلا عن الحياة الدنيا، فهي المقصود الأعظم الذي يُطلب ويُعمل له ويُسعى خلفه، إنهم يريدون الحياة الدنيا معبدًا، ويريدون من الناس أن يطوفوا به، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام لا غير، هذا ما تدعو اليه الليبرالية.

أما ما يدعو إليه الإسلام فإنه الجد والعمل والارتقاء في سلم الحضارة والأخذ من زينة الله والطيبات من الرزق بشرط أن لا تُشغل عن الطاعة ولا تُنْسي الآخرة (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ**

وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ [القصص: ٧٧].

رابعًا: انتهاكُ حرمة الأدلة الشرعية والقفز على حقائقها، فإنَّ الفكر الليبرالي المتطرف يرى أنَّه إذا لم يمكن إسقاط الدين من نفوس الناس أو نسخه بما يسمى قيم الحداثة، فلابد إذن من تعطيل نصوص الشرع وتفريغها من معانيها، وسلكوا لتحقيق هذا مسلكين:

أما الأول فهو: مسلك التأويل، فنصوص الوحي عند هؤلاء مجازات لا تُقرأ قراءة حرفية إنما هي خاضعة لمبضع العقل يفهمها حسْب ما يشتهي، وقعدوا لهذا فلسفة أسموها "القراءات المختلفة"، وتأسيسًا عليها قالوا: "ان من حق كل احد أن يفسر القرآن كما يراه" ومن ثم تنتفي قدسيته وثوابته وقطعياته لادعاء المفاهيم المختلفة له، أما السنة فإن لم يمكنهم إنكارها أو الطعن في مصادرها أو رواتها سلكوا معها المسلك نفسه، وحدث بعد هذا ولا حرج عن هدم قواعد الدين وحقائق الاعتقاد وأحكام الفقه، إنها زندقة صلعاء وإن زخرفوها بالألفاظ.

إن منهج التأويل الليبرالي ليس نتاج بحث علمي نزيه، إنما تبنوه ليكون بوابة عبور لاطروحاتهم وقنطرة لجعل أحكام العقل بل الهوى بديلا عن أحكام النصوص، وليت شعري بأي شيء سيجيبون غلاة التكفير والتفجير حين يدعون أن ما هم عليه نتاج قراءتهم الخاصة للقرآن.

..... فأول راضٍ سيرة من يسيرها

أما المسلك الثاني فهو ما أسموه المنهج التاريخي لقراءة النص وهو يعني أنَّ الوحي قرآنا وسنة ليس شيئا ثابتًا قطعيًا عابرًا للتاريخ، إنما هو قابل للتطور والتغير حسب الظروف واختلاف الأزمان، وعليه فلابد من إحداث أفهام جديدة له تتوافق مع هذا العصر، وهذا شيء لا يستثنى منه أصل ولا فرع، وإذا كان وحي الله بهذه المثابة سيالًا لا ينضبط فأي قدسيةٍ له؟ وأي معنًى له؟ بل أي قيمةٍ له؟

إنَّ الليبرالية يا إخوتاه مشروع هدام لا يَقَرُ له قرار إلا إذا اقتلع الدين من القلوب ولم يُبْقي منه إن بقي إلا رَسمٌ أو وشم أو عقيدة باهتة لا حياة فيها، والله موهن كيدهم ومتم نوره وغالبٌ على أمره.

خامسًا: غرسُ الشكوك في النُّفوس.

من القواعد الأساسية في الفكر الليبرالي القولُ بـ: نسبية الحقيقة وأنه لا وجود لحقيقة مطلقة، وهذا ما يطلق عليه ثقافة "اللاثابت" وعليه فليس ثمة ثابت أو مقدس يُصان عن طاولة النقاش.

إنَّ الشك والتشكيك لُحمة هذا الفكر وسداه، وما أصدق ما قاله كبيرٌ فيهم: "إنَّ الكاتب الليبرالي هو الذي يثير الشكوك دائمًا".

واذا انساق المرء خلفهم فصار يشك في كل شيء لأنه ليس ثمة يقيني ولا وجود لحقيقة مطلقة فلم يبقى إلا أن يرتمي في أحضانهم وينهل من معينهم؛ لأنه صار تائهًا لا يعتصم بشيء ولا يلوي على شيء، وغنيٌ عن البيان أنَّ نسبية الحقيقة فلسفةٌ سفسطائية عبثية نتيجتها نفي كل يقيني وكل اعتقاد جازم. وهل في الخروج عن كل معقول أوضح قُبْحًا من هذا؟

والعجيب أنهم يرفعون عقيرتهم بقاعدة "لا حقيقة مطلقة"، وهذه نفسها حقيقة مطلقة، فانتقضت هذه الكلية وأضحت الحقيقة المطلقة موجودة باعترافهم، فهدمت قاعدتهم.

سادسًا: التبعية للغرب وقطع الصلة بالتاريخ والتراث.

إنَّ الليبرالية مشروع تمرد فكري سمته اللهث وراء الغرب يصدق على أهله قوله تعالى: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ**﴾ [المائدة: ٥٢] وهذا شيء يفخرون به ولا يتكتمون.

وثمرة هذا النهج إسقاط عزة المسلم وإهانته، فإنهم يريدون المسلم العزيز بدينه الموالي لأسلافه المغتبط بأمجادهم يريدونه سيقةً للغرب تابعًا لهم في كل شيء حتى العقيدة والأخلاق والسلوك، ولا تظنَّ أنهم إنَّما قصدوا أخذ ما عند الغرب من صالح من أمور المعاش وترك ما سواه فهذا ما يصرون على تخطئته ويؤكدون بأن الحضارة الغربية كلٌ لا يتجزأ فلا بد أن تؤخذ بحذافيرها وبكل ما فيها من صالح أو طالح، ولا يتم لهم هذا إلا بإحداث القطيعة التامة بين المسلمين وتراثهم وإضعاف انتمائهم لتاريخهم المشرف وبراءتهم من موروثهم العلمي، وإبعادهم عن نهج السلف الصالح، وهذا ما يفسر لك تلك الشعارات المرفوعة من قبلهم؛ كـ"شعار تحرير آيات القرآن من التفسير المأثور"، أو "شعار إعادة تفسير النصوص لمسايرة العصر" ، أو "شعار التحرر من سلطة علماء الدين فإلى متى وهم يحكموننا من قبورهم" هكذا يصرخون!

أمَّا أهل الايمان فإنهم لا يرفعون رأسًا بكل هذا وكيف لا وربهم سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ [لقمان: ١٥]، ويقول: ﴿**وَكُونُوا مَعَ**

الصَّادِقِينَ) [التوبة: ١١٩]، ومن دعاء المؤمنين: **(وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ)** [آل عمران: ١٩٣]، ونبيهم صلى الله عليه وسلم يوصيهم فيقول: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

هذا هو أهم المخاطر التي تتربص بالمسلمين إن أسلسوا قيادهم لهذا الفكر.

أما عن أبرز سمات أو مسالك أهله فإن الليبرالية:

أولًا: تقدمٌ في الظاهر المصطنع ورجعيةٌ وتخلف في الحقيقة، وهل أسوأ من أن يكون الإنسان محكومًا بجسده لا بعقله المستنير بُهدى ربه مقودًا بشهوته لا بمصلحته ومصلحة مجتمعه ووطنه وأمته، يميل مع الاهواء حيث مالت بلا يقينٍ أو اعتقادٍ صحيح.

والليبرالية ثانيا: ترفع راية الإصلاح وينتسب أهلها إليه وهم والله المفسدون والعبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني، **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ)** [البقرة: ١١-١٢].

والليبرالية ثالثًا: تدعي الرقي وهي تهبط بالمجتمع الى أسفل سافليه ليس لهم أي مشروع ناهض بالمجتمعات نافع لها في دينها أو دنياها إنما هو النقد والهدم والتشكيك ثم الانغماس في الشهوات وليس شيء وراء ذلك.

والليبرالية رابعًا: تصوغ أطروحاتها في وسائل الاعلام أو في وسائل التواصل بألفاظ لها بريق ورنين، لكنها مجملة مليئة بالإيهام وتحتها السم الزعاف، والجاهل بحقيقتها يخدعه حسنها، فينقادَ لهم دون أن يشعر.

والليبرالية خامسًا: تجالد على صرف حقائق شرعية محضة عن كونها دينًا وأحكامًا إلى كونها قضايا اجتماعية وعادات وتقاليد ليسهل بعد هذا التهوين من قدرها، ثم طرحها على مائدة النقاش، ثم السعي في زحزحة المجتمع المسلم عن التمسك بها.

والليبرالية سادسًا: تغمز الكتاب والسنة وكتب الفقه بتغذية الإرهاب، يصرحون بهذا تارة ويُلْمِحُون أخرى والمنصفون حتى من الكفار إن هذه دعوة باطلة ظالمة وان النصوص الشرعية وكتب الفقه بريئة من جريرة الغلو والتطرف ولم يعد خفيًا أن نبتة الارهاب تُرعى وتُسقى من أعداء الكتاب والسنة، ولو كان ما ذكروا صحيحًا لكان علماء الكتاب والسنة الذين هم أولياؤهما حقا رواد هذا الاتجاه الغالي ولما نالهم من أولئك أكبر حظ من الذم والتكفير، كما أن العالم كله يدرك أنهم رأس الحربة في التحذير من هذا الارهاب وأن جهودهم في تفكيك شبهه أعظم الجهود، وأن جميع مقالات الليبراليين وكتبهم لا تساوي في أثرها خطبة جمعة واحدة من عالم أو فتوى أو محاضرة علمية أو جلسة مناصحة، ولو كان ما ذكروا صحيحًا لما كانت بلاد الحرمين حاملة راية الكتاب والسنة أكثر البلاد التي تلظت بنار الإرهاب ولما كانت أعظم البلاد في التصدي له ودحره.

والليبرالية سابعًا: دأبها القدح في مناهج التعليم وليس شيء أقر لأعينهم من إضعافها والتهمة هي التهمة السابقة نفسها، ولو انصفوا لعلموا أن المناهج الشرعية بريئة من وصمة تغذية الإرهاب وأكبر شاهد بلاد الحرمين فهذه المناهج الشرعية تدرس فيها من عقود طويلة وقد تخرج بمناهجها الشرعية

وغيرها جمعٌ من ولاة الأمور والعلماء وحملة الشهادات العليا والعسكريون والأطباء والمهندسون وجميع طبقات المجتمع، فما نسبة التأثر بالفكر الضال في هذه الملايين؟

والعجيب أنَّ كثيرًا من الفئات الضالة فاشلون دراسيًا والليبراليون يدركون ذلك، فاتضح أنها تهمة زائفة اختلقوها لحاجة في نفوسهم، فإضعاف المناهج الشرعية يُفْسِحُ لهم الطريق ويمضي بهم إلى الامام خطوات.

والليبرالية ثامنًا: يطعنون ليل نهار في العلماء الربانيين والدعاة السائرين على نهج السلف الصالح الذين هم دعاة الإصلاح حقا فتارة يرمونهم بالتخلف والتشدد، وتارة بأنهم أصحاب عقول أحادية النظرة عدائية التكوين، وتارة يتهمونهم بعدم الانعتاق من رق التراث، وما ذاك إلا لإضعاف مكانتهم في نفوس الناس؛ لأن هؤلاء العلماء والدعاة صخرة تتكسر عليها شبه الليبرالية وتلبيساتها فإذا حيل بينهم وبين الناس لم يبقى أمام المشروع الليبرالي أي عائق.

والليبرالية تاسعًا: اختارت أن تكون قضايا المرأة منبر الخطاب الذي يمررون أطروحاتهم من خلاله لعلمهم الأكيد أن إفساد المرأة ضياع للأسرة، وضياع الاسرة تقويض للمجتمع، ولهم في هذا ملفات ساخنة يطرقونها ليل نهار، من ذلك: دعوتهم إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجال مساواة تامة في الارث والشهادة والدية والطلاق وجميع الأحكام ناهيك عن شؤون الحياة والعمل وهي مساواة مجحفة فإن العقلاء مطبقون على أن التسوية بين المختلفات ليست من العدل في شيء (**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ**) [آل عمران: ٣٦]، ولا أجد توصيفا لحال هؤلاء وقصدهم من كلمة الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه

الله حينما قال: "الذين ينادون بحرية المرأة لا يريدون حريتها ولكن يريدون حرية الوصول إليها" انتهى كلامه رحمه الله.

كما أنَّ الليبراليين يرون الاختلاط الممنوع ظاهرة صحية، أما الحجاب فعادة اجتماعية لا عبادة، ويا ليتها عندهم عادة حميدة إنما الحجاب عُقَدٌ ومن موروث الزمان البالي، وليس بغريب تشويه مرضى القلوب لحجاب الفضيلة والنقاء.

..... إنَّ طيب الورد مؤذ للجُعل

هذه الليبرالية وهذا ضربٌ من خطرها وشيء من ملامحها، إنها نبتة شاذة في رياض المسلمين لا ينبغي أن يكون لها بينهم موضع قدم فإنها مضادة للإسلام من كل وجه.

إنَّ الاسلام يا من ارتضيتموه دينا شيء وراء هذا الفكر فحذار من الملبسين.

إنه دين الحاكمية لله في كل شيء، فإنه سبحانه خالق كل شيء، وله ملك كل شيء، فيجب أن يقام حكمه في كل شيء **(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)** [يوسف: ٤٠].

إنه دين يقين وعلم وصدق لا شك وريب ونفاق **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)** [الحجرات: ١٥]، أما الريب والشك فبحال غيرهم أليق **(وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)** [التوبة: ٤٥]، **(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ)** [محمد: ٣٢].

إنَّه دين طاعةٍ لله ورسوله صلى الله عليه وسلم (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**) [النساء:٦٤] دين تسليم وقبول وانقياد فتقابل أخباره بالتصديق وأحكامه بالالتزام (**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**) [لقمان: ٢٢] بخلاف حال من أعرض وتولى (**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**) [النور:٤٧].

إنَّه دين تعظيم لله ونصرته (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ**) [الصف:١٤].

إنه دين تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته (**لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**) [الفتح:٩]

إنه دين محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**) [البقرة:١٦٥]، قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ ، وولدِهِ ، والناسِ أجمعينَ**» متفق عليه.

إنه دين المحبة في الله والبغض في الله قال صلى الله عليه وسلم: «**مَن أحبَّ للهِ وأبغضَ للهِ ، وأعطى للهِ ومنعَ للهِ فقدِ استكْملَ الإيمانَ**» رواه أبو داود.

إنَّ على المسلمين أن يعوا أن سعي الليبرالية إنما هو في اقتلاع قيمنا وهويتنا، إنه نهر آسن يتدفق من تحت صخور المجتمع المسلم الذي يدين بالولاء لله ولا يرضى عنه بديلًا؛ ليخلخل أركانه، ويقوض بنيانه

إنهم يريدون جيلاً من المسلمين باهت العقيدة ميت القلب فلا ولاء ولا براء ولا طاعة لله ولا خضوعًا، علاقتهم بالإسلام علاقة اسمية وبما يستفاد منه

بعض الأخلاق؛ كالنظافة، والنظام، واحترام المواعيد لا أكثر، ثم الانحلال، والتمرد، واتباع الشبهات.

إنَّ المعتقد الصحيح، والأحكام الشرعية، والآداب المرعية، ونبذ التطرف من جانبيه، واجتماع الكلمة على الولاية الشرعية تحت مظلة حكم الله إن تلك الثوابت لا يجوز اختراقها وسفينة النجاة التي لا يحل خرقها ولا السماح لأحد بذلك، هذا واجب الجميع الراعي والرعية والكل مسؤول عند الله.

إن الليبرالية لا تنبت إلا في بيئة جاهلة تجهل العقيدة والأحكام وتجهل الأخلاق والظلام لا يُطرد إلا بالنور، فلنبث العلم، ولنحصن الناشئة، ولنبشر بالخير، فدين الله منصور وعدوه مخذول.

وأخيرًا إنَّ علينا أن نضع نصب أعيننا قوله تعالى: (**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**) [الأعراف: ٥٦]، وقوله جل ذكره: (**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ**)[الجاثية: ١٨-١٩].

اللهم انصر دينك، وأعلي كلمتك، ومكن لأوليائك، وأصلح عبادك، واخذل أعداءك، وصلي وسلم على سيد ولد آدم وعلى آله وصحبه أجمعين.